ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

يجب أن نعتذر من الشيخ نمر النمر قائد مسيرة التغيير السلمي في الجزيرة العربية

ناصر قنديل

بلغت حالة "التمسحة" في الجسد الحقوقي العربي والإسلامي وتطبّعه مع قوانين الحقبة النفطية، الحدّ الذي صار واجباً شرح الأسباب التي تدعو إلى التضامن مع شخصية فكرية تواجه حكماً بالإعدام، بسبب آراء سياسية تعبّر عنها بشكل سلمي وترفض كلّ دعوة إلى عسكرة المعارضة في بلدها.

لو حدث هذا في سورية في بدايات الأزمة، وقبل أن تنجح القوى الكبرى ومن جنّدت معها من دول المنطقة ومن القيادات والقوى المعارضة في سورية، وقرّرت المحاكم السورية إعدام ميشال كيلو لتمّ تحريك مجلس الأمن الدولي والكنائس العالمية وصار مسيحياً، واجتمع اليسار العربي والدولي بمعزل عن السياسة، وصار أيقونة لليسار والديمقراطية... أو حسن عبد العظيم لاجتمع الناصريون بمن فيهم مؤيدو الدولة السورية استنكاراً وصار غيفارا العرب... أو سهير الأتاسي لقامت قيامة اللجان والهيئات النسائية في العالم وصارت جان دارك العرب، فكيف لو كان الشيخ سارية الرفاعي أو سواه من رجال الدين المنضمّين إلى صفوف المعارضة، والذين يدعون علناً إلى التمرّد المسلح، لانعقد المؤتمر الإسلامي بدورة استثنائية وناقش إسقاط عضوية سورية، علماً أنّ كلّ هؤلاء يجمعهم ما يسمح قانوناً بمحاكمتهم أمام محاكم عسكرية، بجرم التشجيع على حمل السلاح وتنظيم تمرّد عسكري، تؤكده التصريحات الصادرة علناً عن كلّ هؤلاء، بينما يصرّ الشيخ النمر على أنّ الكلمة سلاح كاف لإشهار الحق.

بالتأكيد لو حدث ذلك في سورية لخرجت في بيروت والقاهرة التظاهرات وانعقدت الاعتصامات ومؤتمرات التضامن.

أما شخصية قيادية دينية وشعبية بحجم الشيخ نمر النمر، تمثل ثلث سكان بلدها، وتعقلن الحراك لنيل حقوق المواطنة بالطريق الذي سلكه نلسون مانديلا لحساب مواطنيه، فيصبح التحرك تضامناً معه بحاجة إلى تبرير من نوع أنه لا يقع تحت تأثير الهوية المذهبية لعمامة الشيخ النمر.

في بلد لا دستور فيه، ويجبر أهله على حمل جواز سفر ينسبهم إلى دولة تحمل اسم عائلة الحاكم، ويغيب فيها كلّ ما له صله بتاريخ وجغرافية هويتهم، وتمنع المرأة من قيادة السيارة، وتمنع الصحافة غير المملوكة للأسرة الحاكمة، ولا برلمان ولا حق تظاهر، والتمييز العنصري هو الصفة الوحيدة التي يمكن أن توصف بها معاملة ثلث السكان على أساس طائفي مذهبي فئوي، والطابع الاستبدادي والاستعبادي لمعاملة كلّ السكان، وجب على الحبر أن يخرس، لأنّ الحاكم يملك من المال ما يكفي لشراء ذمة البيت الأبيض، وضمائر آلاف الكتاب والمثقفين بصفة موظفين في مؤسساته الإعلامية التي تفوح منها رائحة النفط.

يجب أن نعتذر من الشيخ نمر النمر قائد مسيرة التغيير السلمي في الجزيرة العربية، لأننا وقفنا معه بعدم الانزلاق نحو مسيرة العنف، ولم ننتبه إلى أنّ أمة هذه حالتها تستحق أكثر من "داعش"، ويجب أن لا ننسى الاعتذار من الديمقراطية التي تتيحها سورية للمعارضين، وأن نخجل عند المسايرة لفجور من يقفون من المثقفين تحت دوش النفط يتطهّرون كلّ صباح، نشاركهم الدعوة إلى مزيد من الحرية والديمقراطية في سورية، بينما يجلس حسن عبد العظيم في قلب دمشقها، ويقول من شرفة بيته كلّ يوم، لا حل إلا بإسقاط النظام وفي قلب حرب عالمية على بلده، ولا يأتيه من حكومة يدعو إلى تبرير العنف ضدّها، إلا الدعوات إلى مؤتمرات الحوار.

الحال يدعو إلى الشفقة على البيئة الفكرية للمثقفين العرب والحقوقيين العرب، ونقابات المحامين وهيئات حقوق الإنسان، فكل شيء بات مزوّراً، وكلّ شيء بات لا يملك من اسمه إلا حدود ما تتيحه مالك النفط.

أمام قامة دينية وشعبية ولقضية حق تسعى، وبالسلم تعتصم، وسلاحها الكلمة الحرة، تحكم بالإعدام فيندى جبين الإنسانية إلى درجة التأقلم مع سطوة المال على حساب الحق، يصير من الواجب أن نصرخ بعالي الصوت... ارفعوا أيديكم عن الشيخ نمر النمر.

إلى دعاة العقلانية نقول: انصحوا سادتكم من موقع الحرص، أنّ إعمال السيف في رقاب المسالمين سيشعل النار في جمر تحت الرماد، وسيكون الإعدام إذا نفذ، كما يقول التاريخ، شرارة تشعل كلّ شيء، والكرامة الإنسانية كما النفط مادة سريعة الاشتعال، فلا تشعلوها إكراماً للنفط.

يمكن استخدام خطابات حسن نصرالله لاستنباط خطوط عريضة لبناء فقه التحرير الإسلامي

ناهض حتر

"إننا أمام فرصة ذهبية لكسر المشروع التكفيري"؛ هذه هي خلاصة الرؤية الكفاحية لدى الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله؛ لا التباكي ولا اليأس ولا السجالات البيزنطية ولا انتظار الكارثة، بل اغتنام الفرصة التاريخية، وسط الدمار والآلام والدموع؛ فرصة موضوعية، لكنها ترتبط بإرادة المقاومة.

فرصة موضوعية لثلاثة أسباب، أولاً، أن المشروع التكفيري (= الفاشية الدينية) يتضمن عوامل فنائه لأنه يسعى إلى استحضار صورة الماضي الفائت في واقع الحاضر والتخطيط للمستقبل.

وهو ما يشكل استحالة تاريخية، وثانياً لأنه مشروع تدميري انتحاري لا ينطوي على أي فكرة وطنية أو تنموية أو قابلة للحياة، وثالثاً، لأن موازين القوى ـ على رغم الدعم الإقليمي والدولي للتكفيريين ـ تسمح بمواجهة هؤلاء وهزيمتهم.

لكن اغتنام الفرصة، بإرادة المقاومة، لا تتمثل، فقط، في ردّ المعتدين؛ هذا معناه الحرب الدموية لعقود، واستنزاف المجتمعات والمقاومات والقوى التقدمية والمؤسسات الدولتية. وهو ما يحقق مصالح الإمبريالية والصهيونية في بلادنا؛ المطلوب هو كسر المشروع كله، واستئصاله من جذوره، ما يطرح جدول أعمال يتجاوز مجرد المواجهة العسكرية والأمنية، إلى المواجهة الفكرية والسياسية والتنموية؛ يحث نصرالله على "تقديم إسلام راق ومشرق، على عكس ذلك الذي تقدمه داعش ومثيلاتها"؛ لكن السؤال يظل قائما: ما هي طبيعة ذلك الإسلام؟

نحن أمام مهمة فشلنا في تحقيقها طوال أكثر من قرن من "الحداثة"، وهي مهمة تحديث الإسلام؛ لقد كانت هناك محاولتان في هذا الاتجاه، فشلتا، الأولى ليبرالية، مع جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، الذي عمل على اصلاحات جزئية هدفها التلاؤم مع المرحلة الرأسمالية؛ لكن، بما أن المفقرة والريفيون المهاجرون إلى أحزمة البؤس في المدن، خارج فاعلية التحديث الليبرالي للإسلام. أما المحاولة الثانية، فقد قام بها اليساريون لإحياء ما هو شعبي وديموقراطي من تراث الإسلام، ومواءمته مع متطلبات التحرر الوطني والاشتراكية. وهي محاولة بقيت حبيسة التفاعل داخل النخب اليسارية.

"الإسلام الراقي والمشرق" هو الإسلام المتجدد المتطابق مع الضرورات التاريخية التي لا مناص منها لنهضة العرب؛ وهي التحرير والتحرر الوطني والتنمية والديموقراطية الاجتماعية وتحديث الثقافة والبنى السياسية وتحقيق صيغ ملائمة من اتحاد الأقاليم العربية والتكامل العربي. وفي المقابل، فإن الإسلام السياسي العربي يبدأ من العودة إلى الماضي، ويعادي تلك الأهداف، باستثناء هدف التحرير لدى بعض الجماعات الإسلامية، وليس كلها.

انتقل حزب الله، بمشاركته البطولية في مواجهة المشروع التكفيري، على المستوى الإقليمي، من إسلام التحرير إلى إسلام التحرر، بمعنى أنه تجاوز وحدانية نهج مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، إلى المشاركة الفعالة في مواجهة التدخل الامبريالي الرجعي في سوريا والمنطقة. وهو يقدم، على المستوى العملي، صورة راقية فعلاً في السياسة والممارسة، لكنه لم يتقدم، بعد، لإنجاز مهمة الانتقال من الفقه التقليدي إلى فقه التحرير، الوطني الاجتماعي التنموي، على نحو ما فعلت الحركات النضالية في أميركا الجنوبية بالانتقال من اللاهوت التقليدي إلى لاهوت التحرير، الذي حوّل المسيحية من قوة رجعية إلى قوة تقدمية في تلك القارة الصاعدة.

على المستوى الفني، يمكن استخدام خطابات حسن نصرالله لاستنباط خطوط عريضة لبناء فقه التحرير الإسلامي، على أن يتم استكمال النقص الحاصل في الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ لكن من الواضح أن هناك الكثير من التعقيدات البنيوية والسياسية والتنظيمية التي تحول، حتى الآن، دون ورشة حزبية أو حتى مبادرة من أحد مثقفي الحزب لدراسة خطابات السيد، وتحليلها، وإعادة بنائها منهجياً. وهي مهمة يقوم بها، جزئياً، يساريون ـ كما فعلت، مرارا، في كتاباتي ـ ولكن إنجاز هذه المهمة، وتحويلها إلى جدول أعمال فكري، يعود إلى مثقفي حزب الله وكوادره.

لحزب الله، بالطبع، أن يتطور بالإيقاع الذي يناسب المهمات الثقيلة التي يتصدى لها، وما يرتبط بها من علاقات وتعقيدات، لكن تحقيق الهدف الكبير المتمثل في كسر المشروع التكفيري، يتطلب بناء جبهة قومية عريضة، تجمع كل القوى الاجتماعية والسياسية المتضررة من ذلك المشروع في المشرق العربي، جبهة يكون عنوانها الوحيد هو هزيمة التكفيريين، بينما يكون، لكل أطرافها، الحق في الاختلاف وتحديد البرامج الأخرى.

تجمع جبهة كهذه، موضوعياً، الوطنيين المتنوّرين من الشيعة والسنة والمسيحيين والمكونات الدينية الأخرى والقوميين واليساريين والعلمانيين والمثقفين التقدميين والنساء، وهن قوة جبارة في الأسرة والمجتمع، كما في الميدان على ما رأينا من بطولات نساء عين العرب. غير أن قيام الجبهة الموحدة ضد المشروع التكفيري، يتطلب ارادة سياسية ومشروعاً مضاداً وبرنامجاً لدى القوتين الرئيسيتين اللتين تخوضان الصراع، وتتمتعان بالدعم الإقليمي والدولي، وهما الجمهورية العربية السورية وحزب الله.

الحرب طويلة وشاقة وشاملة، وتحقيق النصر فيها يحتاج إلى تعبئة شاملة لكل الطاقات الفكرية والسياسية والمقاتلة، خصوصاً، في المجتمعات المشرقية الفسيفسائية التركيب الديني والطائفي والاتني والجهوي. وهي كلها مكفّرة ومهددة بالفاشية الدينية.

عن الخلافات التركية- الأميركية

حميدي العبدالله

تتحدث وسائل إعلام غربية وعربية عن خلافات بين تركيا والولايات المتحدة، ووصل الأمر إلى حدّ أنّ صحيفة "واشنطن بوست" تحدّثت عن فشل التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضدّ "داعش". بسبب هذه الخلافات ومن خلال ما يكتب وينشر ويبث في وسائل الإعلام الغربية والعربية يتراءى لكثيرين وكأنّ تركيا تحوّلت إلى دولة ممانعة متمرّدة على سياسة الإملاءات الأميركية، فهل واقع الأمر هكذا؟ وهل ثمة خلافات بين الولايات المتحدة وتركيا؟ وهل وصلت الخلافات إلى حدّ تمرّد تركيا وخروجها عن الفلك الذي كانت تدور به منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن؟

أولاً، لا بدّ من التأكيد على أنّ هامش الخلافات الموجود الآن بين الولايات المتحدة وتركيا، يشبه هامش الخلافات الذي ميّز العلاقات السعودية ـ الأميركية بعد تراجع الإدارة الأميركية عن توجيه ضربة عسكرية إلى القوات السورية في خريف العام الماضي. وهذا الهامش أتاحه الصراع داخل النخبة الأميركية الحاكمة بين تيارين، التيار الأول يخشى تورّط الولايات المتحدة في مزيد من المغامرات العسكرية الفاشلة، والتيار الثاني يدعو إلى هذا التورّط بمعزل عن التبعات المترتبة عليه، وبفعل هذا الصراع تولد الهامش الذي أتاح للسعودية الظهور بمظهر "المتمرّد" على السياسة الأميركية في خريف العام الماضي، ويسمح اليوم لتركيا حزب العدالة والتنمية، الظهور بالمظهر ذاته.

ولكن عندما تعارضت السياسات الروسية مع السياسات الأميركية لم تتردّد واشنطن عن فرض العقوبات ضدّ روسيا غير مكترثة لنتائجها وتداعياتها السلبية، وتركيا لديها ثغرات كثيرة اقتصادياً وسياسياً تؤهّل الولايات المتحدة لإركاعها وإرغامها على الامتثال لأوامرها، وتركيا أقلّ منعة بكثير من روسيا في مواجهة أي ضغوط يمكن أن تمارسها الإدارة الأميركية وحلفاؤها الغربيون وفي المنطقة. وبالتالي فإنّ تفسير "تمرّد" أنقرة وعدم انضباطها في المخطط الأميركي والذي يزعم البعض بأنه يهدّد التحالف ضدّ "داعش"، هو ثمرة عاملين، الأول، صراعات الإدارة والنخبة الحاكمة حول الخيارات الذي تمّت الإشارة إليها أعلاه، الثاني، قناعة الإدارة الأميركية أنّ تركيا لم تهدّد مصالح الولايات المتحدة، ولا تشكل خطراً على هذه المصالح، وليست في وضع يؤهلها لاعتماد سياسات مستقلة تتعارض مع السياسة الأميركية، كما هو حال روسيا على سبيل المثال، ولذلك لم تقم واشنطن بأي إجراءات من شأنها الضغط الفعلي على أنقرة للانضباط في الاستراتيجية الأميركية، وإذا كان ما هو قائم الآن بين أنقرة وواشنطن لا ينطبق عليه وصف سياسة توزيع الأدوار، إلا أنه أيضاً لا يمكن وصفه بالخلاف الجدي، بل هو اجتهادات داخل المعسكر الواحد، لا أكثر ولا أقلّ.

من سيعالج "إسرائيل" من مرضها وكيف؟

محمود سمير الرنتيسي

في أبريل ١٩٤٩ وبعد عام من مذبحة دير ياسين التي قامت بها العصابات الصهيونية في ٩ أبريل ١٩٤٨ والتي قتلت فيها قرابة ٤٠٠ من سكان القرية كانت أصوات الموسيقى ترتفع في احتفالية كبيرة حضرها أعضاء الحكومة وكبار الحاخامات ، وأرسل في حينها الرئيس الإسرائيلي حاييم وايزمان رسالة تهنئة بافتتاح مستوطنة أو مغتصبة "جيفات شاؤول" على أراضي دير ياسين.

بعد ٣٠ عاماً استمر التفاخر الإسرائيلي بالقيام بالمذبحة -التي أوردها كمثال فحسب- من خلال إطلاق أسماء العصابات المشاركة بالمذبحة على شوارع المستوطنة حيث قررت إطلاق أسماء عصابات الأرجون والبالماخ والهاجاناه على شوارع المدينة.

وبعد مرور ٦٦ عاماً على مجزرة دير ياسين وغيرها من المجازر الصهيونية في فلسطين فقط عام ١٩٤٨، في حينها أذكر أنني سمعت أن بعض الناس في ذلك الوقت وقد كان الجهل سائداً نسبياً في بعض المناطق يظنون أن الصهاينة ليسوا بشراً بل نوع من أنواع الوحوش.

ويتوافق هذا مع سؤال استنكاري من صديق تركي يسألني خلال العدوان الإسرائيلي على غزة قبل شهرين "هل الإسرائيليون بشر مثلنا"؟ ثم أردف قائلاً بالرغم من أنني أراهم على شاشات التلفاز لكنني لا أصدق أن من يقتل الطفولة ينتمي إلى البشرية والإنسانية.

أول أمس وفي ندوة نظمتها أكاديمية العلوم الإسرائيلية، تحت عنوان "من كراهية الأجنبي إلى تقبل الآخر". قال الرئيس الإسرائيلي الحالي رؤوفين

ريفلين: "هل نسينا كيف نكون آدميين؟ هل نسينا كيف يكون الحديث؟ هل خفي علينا سر الحوار؟".

وأضاف "آن لنا أن نعترف بصراحة بأن المجتمع الإسرائيلي مريض ومن الواجب معالجة هذا المرض".

ربما يختلف السياق الذي أتناول فيه هذا الموضوع عن سياق هذه الندوة لكن العبارة تصلح نسبياً لتوصيف الحالة الصهيونية.

"إسرائيل" التي تعتبر أكبر مركز عالمي لتجارة الأعضاء البشرية بشكل غير قانونيّ، بعد قتل الفلسطينيين هي الدولة الوحيدة في العالم التي تحتجز جثامين الشهداء، وتنتهجها كسياسة، ولا تزال تحتجز مئات الجثث وترفض إعادتها وتسليمها لعائلات الشهداء.

لقد قتلت "إسرائيل" الدولة الديمقراطية في العدوان الأخير، فحسب أكثر من ٢٠٠٠ فلسطيني مدني، دكت على رؤوسهم طوابق البيوت ومزقت أشلاء الأطفال، محت آثار عائلات بأكملها، كسرت كل القواعد والقوانين والأعراف وارتكبت أبشع الجرائم، واتخذت من المدنيين دروعا بشرية، ويكفي أنها قتلت ٥٠٠ طفل.

في ٢٠٠٣ وصف وزير الصحة الإسرائيلي العرب بأنهم أفاع وعقارب، فيما وصفهم هرتزل من قبل بالبعوض لتؤكد على منهجية التفكير، وتتكرر في هذه الأيام ممارسات إجرامية بحق المسلمين في المسجد الأقصى ويمنع المسلمون من الدخول للصلاة في أقدس مقدساتهم في فلسطين، أليس من حق أي مسلم وفلسطيني أن يصلي في أولى القبلتين؟! تتضح الصورة تماماً أمام العربي والأجنبي حتى عندما يرى أبواب المسجد الأقصى تكسر وعندما يتساءل لماذا يقف جنود صهاينة في ساحات مسجد يلاحقون المصلين؟.

بالفعل "إسرائيل" مرض ووجودها مرض في جسم هذه الأمة وهذا المرض له عوامل تساعد على بقائه وعوامل تسرع في الشفاء منه أولها الإيمان بالشفاء من المرض والإرادة وأخذ العلاج المناسب والفعال، ويبقى السؤال مفتوحاً من هو الطبيب الذي سيقوم بالعلاج وكيف؟ بالتأكيد الإجابة ستتحقق بعد كثير من الآلام والمعاناة.